كيف نبني الاشتراكية

بقلم لي دوان السكرتير الاول لحزب العمل الفيتنامي ـ ترجمة ابو طلعت

بعد انتصار المقاومة ضد فرنسا في عام ١٩٥٤ ، كان السؤال المطروح في القسم الشمالي من بلادنا هو : اي طريق سنسير فيه ؟ وكان جواب حزب العمل ان بلادنا ينبغي وبامكانها ان تسير في الطريق الاشتراكي، متجاوزة مرحلة التطور الراسمالي رغم التخلف الاقتصادي والثقافي الذي ورثناه عن قرون طويلة من الاقطاع وحوالى قرن من الاستعمار .

١ ـ دكتاتورية البروليتاريا والقيام بالثورة الثلاثية

يستند بناء الاشتراكية على عاملين . الاول : دولي ، والثاني : وطني .

فعلى الصعيد الدولي ، فيثر وجود نظام اشتراكي وقوة حركة التحرر الوطني عوامل القوى لصالح الثورة تغييرا جذريا ، وعلى الصعيد الوطني ، « في البلاد التي يلعب فيها العمال والفلاحون دورا حاسما ، وتكون طليعة الطبقة العاملة قد استولت على زمام قيادة الثورة لا يعتبر انتصار الثورة الديمقراطية الوطنية انتصارا احرزه الشعب على الامبريالية والاقطاع فحسب، ولكنه ايضا انتصار سياسي للبروليتاريا على البرجوازية المحلية ، انتصار دولة من طراز جديد » .

ومن ثمة ، فان تتويج الثورة الديمقراطية الوطنية بالانتصار يعني ايضا تدشين الطريق للثورة الاشتراكية . ان القوى العمالية ـ الفلاحية الثورية بقيادة الطبقة العاملة تشرع على الفور في تغيير الواجبات التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا : القيام بالثورة الاجتماعية وبناء الاشتراكية .

« وقد تحققت ، في بلادنا ، دكتاتورية البروليتاريا في وقت كانت فيه قوى الانتاج متخلفة للغاية ، وكانت القاعدة المادية للبناء الاشتراكي لا تزال ضعيفة جدا . ووقت النظام الاجتماعي للانتاج في مفترق الطرق : اما التقدم في طريق الاشتراكية واما في طريق الراسمالية، او الانتظار لوقت في حالة الانتاج الفضل ، وكي تبني الاشتراكية ، ينبغي ان نشرع من البداية في قوى الانتاج الجديدة والعلاقات الانتاجية الجديدة معا ، في وضع اسس اقتصاد جديد وبناء فوقي جديد . وفي هذه الاحوال ، تكتسب مبادرة دكتاتورية البروليتاريا ودورها المالي والتنظيمي والوعي السياسي للجماهير العاملة في خلق مجتمع جديد ، تكتسب اهمية عظمى » .

بقي الصراع الطبقي مستمرا ، وعلى النظام ان يسحق كافة آثار الراسمالية ، وكل اشكال الاستغلال ، وجميع الاتجاهات المؤدية الى تنمية الراسمالية تلقائيا ، وقمع كل المحاولات المؤدية الى اعادة القوى المضادة للثورة ، وعلى كل، ليس بكاف سواء لبناء قواعد الاشتراكية او لضمان نجاحها قمع القوى المضادة للثورة ، في بلد حيث يسود الانتاج الفضيل وحيث استولت فيه الراسمالية تقريبا .

« ان المسالة الرئيسية هي في تحويل الانتاج الفردي الفضيل الى انتاج اشتراكي على نطاق واسع ، والبدء في بناء كافة الاسس المادية والتكنيكية ، والاساس الاقتصادي والبناء الفوقي لمجتمع اشتراكي بالقيام بالثورات الثلاث بداب : الثورة في علاقات الانتاج الثورة التكنيكية ، الثورة الايديولوجية والثقافية .

« ... وبالتالي ، فان الفصل بين الطريقين، الطريق الراسمالي والطريق الاشتراكي ، في الجزء الشمالي من بلادنا ، يكمن اساسا في بذل الجهود لتحويل الانتاج الفردي الفضيل الى انتاج اشتراكي على نطاق واسع . وبشكل تاسيسي دكتاتورية البروليتاريا للقيام بالثورات الثلاث في وقت واحد ، الحجر الاساسي في الثورة التكنيكية ، بشكل المضمون الجوهري للصراع الطبقي في فترة التحول الى الاشتراكي في الجزء الشمالي من بلادنا » .

ان التراخي في اليقظة ضد المؤامرات المعادية للثورة خطيئة كبرى ، كما ان المبالغة في تقدير القوى الرجعية واهمال مهام البناء والتنظيم خطا فادح .

٢ ـ اهمية القيام بالثورات الثلاث

ترتبط العلاقات الانتاجية الجديدة والثورة التكنيكية ، والثورة الايديولوجية والثقافية ارتباطا وثيقا مع بعض : فالعلاقات الانتاجية الجديدة تشق الطريق الى الثورة التكنيكية وتعزز تحالف العمال والفلاحين ، وهذا هو الاساس الذي تنبع منه الافكار الجديدة التي هي سمة الانسان الجديد ، وفيما يتعلق بعلاقات الانتاج ، فلا يكفي تصفيه النظام الراسمالي وتحويل الاستغلال الفردي الفضيل .

« وعلينا ان نحل فورا ، بعد ان يحول الشيفله الملكية الجماعية لوسائل الانتاج ، سلسلة كاملة من المسائل : كيف ندير العمل الجماعي والملكية الجماعية حتى نحصل وباقصى سرعة على انتاج وفير ، ونقوم بالثورة التكنيكه باسرع وقت ، ونؤثر على اعادة التوزيع المعقول للعمل الاجتماعي ، ونحصل على اعلى عمل انتاجي ؟ كيف ننظم الانساج الاجتماعي بقية التشديد على كل القيادة المركزية الموحدة وممارسة مختلف الفروع والمناطق وسائر الشيفلة ، حتهم كاسباد ، كيف نوزع الدخل كي نضمن التراكم اللائم للانتاج العالي وفي نفس الوقت نحسن مستويات الشعب المعيشية ، لتشجيع المثابرة ، وفي نفس الوقت اظهار الروح الاجتماعية الاشتراكية ، وادراك المتطلبات المادية للشعب ، وفي ذات الوقت تطوير الثقافه، التربية والتعليم العلوم ، التكنيك ، بمعنى أي اجراءات اقتصادية وادارية ينبغي تبنيها من اجل تشجيع ونحسين المؤسسات الاقتصادية الاشتراكية ، وتوسيع ميدان العمل الاشتراكي وجذب المنتجين الفرديين الى الانتظام في تعاونيات ، واحكام السيطرة على السوق ، ومحاربة المضاربة ، وتصحيح كل الاخطاء والعيوب في ادارة الارض والعمل ... الخ » .

لقد ضمنت الحرية والمساواة للجميع بينما لا زالت اسس النظام المادية والتكنيكية ضعيفة .

« ان الشيوعية هي سلطة السوفيات + الكهربة : هذا القول الشهير للينين يساعدنا على تفهم المشكلة شكل الفضل. سلطة السوفيات معناها دكتاتورية البروليتاريا ، حق الشغيلة لان يكونوا هم الاسياد . والكهربة معناها صناعة واسعة قائمة على الكهرباء ، وكذلك على الاساس المادي والتكنيكي للمجتمع الجديد ، واذا فشل احد هذين العاملين فلا تتحقق الاشتراكية او الشيوعية ، واذا انطلقنا من الانتاج الفضيل فما نحتاج اليه بالحاح هو ما قال عنه لينين :

« الكهربة » . وبالكهربة فقط نستطيع توطيد النظام الاقتصادي الاشتراكي ، وتحالف العمال والفلاحين ودكتاتورية البروليتاريا ، واستئصال عقلية وعادات المنتجين الصغار ، وتقوية وتطوير الايديولوجية الاشتراكية ، وتحقيق الرعاية المادية للشغيلة ، وحياة متحدة وجعلهم اسيادا لا على المجتمع فحسب بل وايضا على الطبيعة .

« ... وفي الوقت الحاضر ، نشتغل في بلادنا ، كما هو الحال في بلاد اخرى عديدة ، ثورة عطية وتكنيكة .. ولهذا يجب على القوى المنتجة في بلادنا وامكانها ايضا ان تتحول تدريجيا طبقا لقانون التطور من انتاج فضيل الى انتاج واسع النطاق ومتغيرات ، والتوجه الى الكتلة والاتومانة ، واولا وقبل كل شيء : الانتاج الحرفي ، وننتقله خطوة بعد اخرى الى نصف مكننة ثم الى المكننة ، ونسعى لتوسيع الاقتصاد الاقليمي وتدمجه بالزراعة بهدف تقسيم العمل الاجتماعي ، وبهذا نخلق الظروف لبلاد صناعة على نطاق واسع ومن جهة اخرى ، يجب علينا ، بفة تقوية النفوق الكامن في النظام الاقتصادي ـ الاشتراكي ، ان ننشط في تقديم المساعدة للبلدان الاشتراكة الشقيقة ، وفي التبادل بين الدول الاخرى ، ونبذل كل جهد لبناء صناعة كبرة تكنولوجية حديثة ، وتقوم بقفزات في الاقتصاد والتكنيك ، وتتقدم من خلال هذه القفزات لجعل كل اقتصاد بلادنا عصريا

وبالاضافة الى ذلك ، نحتاج الى رجال من نوع جديد ، كما ان معنويات الشعب وحياته الثقافية والايديولوجية بحاجة الى تغيير جذري .

« ان الطريق للاشتراكية ، دون المرور بالمرحلة الراسمالية ، طريق جديدة في التطور، وتتطلب روحا خلاقة عالية وشعورا بالمسؤولية . ومع ذلك ، فانه من اجل بناء صناعة قطع لا بد من شروط تهيؤها الزراعة والصناعة الخفيفة ، تلك هي قوة العمل ، السوق الاستهلاكية ، التراكم الاولي ، السوق ، في ظل الراسمالية ، يستغرق نمو هذه زمنا طويلا بعد تطور الصناعة الخفيفة ، ان الاشتراكي والمساعدات التي قدمتها الدول الاشتراكية الشقيقة ساعدتنا في معالجة صناعة ثقيلة في زمن قصير . ولا بد ان نقر اذهاننا ضعف الزراعة والصناعة الخفيفة في بلادنا في الوقت الراهن .

« ان المهمة العاجلة للصناعة الثقيلة هي خلق الظروف التي تؤدي الى تزويد العمل في بلادنا كلها ، وفي المقام الاول في الزراعة والصناعة الحرفية ، بادوات ومعدات الاشكال ، ومستويات تكنيكية متعددة ، وعصرية على حد سواء ، طبقا لكل نوع من العمل بفة زيادة انتاجية العمل بسرعة قدر الاقل بضعفين او ثلاثة اضعاف » .

ان جعل ادوات العمل عصرية هو المهمة الرئيسية في تحقيق زيادة الانتاج ، وفي الهندسة الميكانيكية في الصناعة الدور الحاسم كما تعتبر المواد الكهربائية والبنائية ، والكيماوية والميتالورجية ، من اهم المواد في الصناعة .

« يحتاج تطور الصناعة الثقيلة الى توفير متوازن للصناعة الخفيفة التي تنتج الاستهلاك للشعب والبضائع للتصدير خلال فترة التراكم الاولي ، والتي تعتبر طريقا هاما للصناعة الثقيلة .

« بسبب الاقتصاد المخلف وسنوات الحرب الطويلة ، لا زالت حياة شعبنا المادية فقيرة ، ما ان لدينا مشاكل عاجلة كثيرة بحاجة الى حل ، انا ، في الوقت الحاضر ، عاجزون عن رفع المستوى العام للحياة المادية لمجتمعنا كله فقط ، ولكن للسماح ايضا لتكثيف الزراعة ، بخلق جيا جديدا ، وعلينا ان نطور الصناعة الخفيفة بسرعة ، وبزيد انتاج البضائع الاستهلاكية بمعدل سريع ، ويشبع حدا للعجز غير الضروري لتحقيق الحد الادنى لمستوى الحياة خلال المرحلة الاولى من التصنيع .

« ومن جهة اخرى ، نستطيع بفة عملنا الخلاقة والجدية ، وموادنا الطبيعة والوفيرة ، وخاصة الزراعة الاستوائية الوفيرة ، نستطيع ان نخلق بسرعة قوية للصناعة الخفيفة ، ونحول بعض وفرة من المواد الاستهلاكية ، سواء محليا او قسما منها للتصدير » .

ينبغي تحسين الزراعة كليا ، الزراعة التي تمنح المواد الغذائية والمواد الخام للصناعة والبضائع للتصدير ، فكل منطقة ـ المناطق الجبلية او الداخلية او المرتفعات ـ لها مزاياها الخاصة التي يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار ، وكذلك مصدر ثروة كبرة ، والمطلب الهام والحيوي في هذه المرحلة هو تكثيف الزراعة ، وتجسيد هذا الشعار : خمسة اطنان ، مزارع واحد ، خمسة اطنان لكل هكتار .

« خمسة اطنان لكل هكتار : لا تعني بساطة التزويد بالطعام الكافي لزارعي الارز فقط ولكن لكل مجتمعنا ، ولا تعني ان مسالة الطعام وحدها بالارز وحده ، ولكن بالحبوب الجافة والخضروات والمواد الغذائية الاخرى بنسب متساوية وفقا لخصوصيات كل منطقة .

« مزارع واحد لكل هكتار : لس الهدف منه التزويد بقوة عاملة كافية للزراعة المكثفة ، ولكن ايضا تقسيم جديد للعمل لتطوير الزراعة والصناعة سنما تجري ادخار جزء من قوة العمل لانتاج بضائع للتصدير .

« خمسة اطنان في كل هكتار مزروع : لس الهدف منه التزويد باللحوم الاستهلاك المحلي فقط ، ولكن للسماد ايضا لتكثيف الزراعة ، وجزء من اللحوم للتصدير .

« ينبغي بذل الجهود لتحقيق هذه الاهداف الثلاثة بالعمل لتحويل الزراعة الاحادية المحصول الى زراعة متنوعة المحاصيل ، وفيما الاقتصاد الاقليمي بدوره كاملا واعادة توزيع العمل في كل منطقة كاساس لتوزيع جديد للعمل على نطاق الامة » .

لا بد من بذل الكثير لانجاز هذه التنمية الزراعية : التكنيك ، الادارة ، التوجيه ، والعلاقات المتوازنة بين الصناعة والزراعة .

« اذا اردنا انجاز المهمين الاقتصاديين الاساسيين في المرحلة الاولى ـ تراكم راس المال للتصنيع وتوفير حاجيات الشعب ـ فلا بد ان تعم زراعتنا التي لا زالت متخلفة بعملية تحويل ثوري طويله في عدة مجالات : تحويل العلاقات الانتاجية المرتبطة بتحسين التكنيك ، التنمية الزراعية الشاملة المرتبطة بالخصوصية الاقليمية تكثيف الزراعة والحاصيل المتعاقبة المقترنة بتوسيع المناطق الزراعية . مثل هذا التحويل الثوري للزراعة لا يمكن ان يكون من عمل الفلاحين وحدهم ولكن ايضا من عمل الطبقة العاملة ، وكل مستويات الدولة الاشتراكية ، كل الفروع وعلى كل المستويات » .

٤ ـ الاقتصاد المركزي والاقتصاد الاقليمي

العلاقات بين الزراعة بكونها متنوعة، والصناعة بكونها مطورة ، علاقات معقدة ، وتختلف في كل وقت طبقا للمستوى التكنيكي الذي نصل اليه كل قطاع .

« في الوقت الحاضر ، وبينما يجري بفعالية تنفيذ تقسيم جديد للعمل في الزراعة والصناعة التي تدار مركزيا ، نعتبر دمج الزراعة بالصناعة في كل منطقة ذا اهمية خاصة . ولذا ، على المرء ان ينفر الامكانيات في ادارة الاقتصاد في مختلف المناطق الاقليمية ، وان نقدم مساعدة اكبر من المستوى المركزي ، ويخلق اقتصاديات اقليمية مزدهرة مع بناء مختلف الفروع الاقتصادية التي تدار مركزيا ، كل ذلك بهدف تحقيق التوازن الاقتصي بين الصناعة والزراعة .

على المرء ان يفرق بين قضايا الاستراد الوطني والاقليمي ، ويقوم باعمال كبرى مع تغطية الانتاج الفضل ، وسربط التوجيه المركزي مع حق المنظمات الاقليمية في ممارسة القيادة الجماعية .

« بامكان السلطات المركزية بل ويجب عليها ان تهتم بالحاجيات الاستهلاكية الاساسية بشكل شامل ، وفي الوقت ذاته ، على مختلف المناطق ان تزود بالحاجيات الاستهلاكية الثانوية بطريقة منظمة ودقيقة .. ولهذا السبب ينبغي ان تثار قضية التوازن بين الانتاج والاستهلاك وتحل لا على نطاق وطني فقط بل وعلى نطاق كل منطقة ايضا .

« ان التحول من انتاج الحرف اليدوية الصغيرة الى انتاج عصري واسع النطاق يتطلب بالضرورة اعادة توزيع العمل الاجتماعي ، ان اي مستوى تكنيكي بسبب حتما توزيعا معينا للعمل، وفي الوقت الحاضر ، حين تكون القوى المنتجة قد نمت خارج الحدود القومية لا بد ان يوزع العمل الاجتماعي في اطار قومي فحسب بل وايضا على نطاق عالمي الى حد ما ، ولا تزال البطء جدا ، كلانة ارساع مجمل قوة العمل الاجتماعي . ولذلك فان التقسيم الجديد للعمل يعني اولا وقبل كل شيء اعادة توزيع للعمل الزراعي . تحويل جزء من العمل المنتج للمواد الغذائية الى عمل المواد التي تحتاج الى تصنيع، تربية الثروة الحيوانية وصيد السمك واعمال التخريج ، تحويل جزء من العمل الزراعي الى الانتاجي البطء الى مستوى انتاجي عال ـ هذه هي المطالب الملحة لبناء الاقتصاد ، وهذا هو الهدف الاساسي لادارة العمل في المرحلة الراهنة » .

التقسيم الجديد للعمل بفعالية وخاصة بالبدء من الاقتصاد الاقليمي والاعتماد على النشاطات التي تدار مركزيا سيجعل الحركة نشيطة ، وتبعا لذلك ستقرر العلاقة بين المدينة والريف .

« ان الفضل طريقه لربط المدينه بالريف وازاله الفوارق بينهما سرعه هو بناء اقتصاد يدار مركزيا ، وتطوير الاقتصاد الاقليمي كذلك . وببناء قواعد اقتصادية ومواقع ملائمه تدار مركزيا وتوسيع الاقتصاد الاقليمي الذي يشمل الزراعة والصناعة الاقليمه ، نستطيع ان نطور المدينة والريف كليهما . سنظهر المدن في اماكن مختلفه عديدة قريبة من المناطق الريفه . وعلى اساس التنمية الاقتصادية ، سنبني بجانب بعض المدن الكبرة نسبيا والتي سنخدم كمراكز سياسية واقتصادية وثقافة ، عددا كبرا من المدن الصغرة والمتوسطه الحجم في مناطق مختلفه بقية التاثير على المناطق الريفية ومساعدتها على التقدم سرعة فائقة في المبادين الاقتصادية والثقافية والاجتماعية . وحينئذ ، نستطيع ان نقر وجه كل منطقة ، في المرتفعات كما في المنخفضات ، وتزويد كافه المواطنين حيثما تواجدوا بحياة مادية لائقة وحياة ثقافية ومعيدة » .

ان بناء اقتصاد في الاقاليم هام للغاية من اجل الدفاع الوطني . وهو يتضمن قضايا ادارية عديدة ينبغي حلها وفقا للحاجه لضمان قيادة مركزية موحدة . ان الصيغه العامه ليست كافية ، وعلى المرء ان يغوص عميقا في المسائل الملموسة للتنظيم والقيادة ، كما لا بد من اليقظه ضد البيروقراطية والميل نحو الفوضوية.

٥ ـ قضايا ادارة الاقتصاد

في ادارة الاقتصاد ، وهذا ميدان جديد ، علينا ان نظهر انفسنا من النقائص الكثيرة . ويجب ان تاخذ ادارة العمل الخصوصيات بعين الاعتبار ، وتتمشى مع تطور الاقتصاد الثاني الذي يشبه الكائن الحي .

« في المرحلة الاولى من تطور الانتاج واعادة توزيع العمل ، لا بد ان تكون نظام ادارة الاقتصاد مرنا للغاية ومطابقا لقوانين الاقتصاد العامة للاشتراكية والقوانين التي تحكم التقدم من انتاج فضيل الى انتاج واسع النطاق ، و بد ان يعكس الى اقصى حد كلا القيادة المركزية والقيادة الجماعية لمختلف المناطق والقواعد الاساسية ، ولا بد ان يقوم بعمل مخطط ، والاستفادة بحكمه من علاقات السوق وتوسيع اعمال المحاسبة، ويجب ان تلعب الحوافز المادية دورها ، وفي نفس الوقت لا بد من دفع التثقيف السياسي والايديولوجي دفعا قويا ، ورفع المستوى الاشتراكي لدى الجماهير » .

ينبغي تنفيذ العمل المخطط على ثلاثة مستويات : المركزي ، الاقليمي ، القرعي ، كما ينبغي ان يشتمل على خطط طويلة الامد واخرى قصيرة الاجل . ولا زلنا حتى الان لا نملك كافة المعطيات الاقتصادية ، ولذلك ينبغي ان نربط التخطيط بتطبيق قوانين السوق ، ومعرفة كيف نقوم بهذه الاعمال : الاسعار ، الاجور ، الفائدة، القروض . ولا بد ان يسهم كل مشروع وكل فرع في التراكم دون الانهماك في سياسات قصيرة النظر ، والهدف الاساسي هو تنمية الانتاج . وان لتنظيم التوزيع والتوصل اهمية عظمى . وينطلب نظام ادارة الاقتصاد جهازا جيد التنظيم يعالج ما ينشا من قضايا اقتصادية وتكنيكية .

ان مساله العلاقات بين الحزب المسؤول عن القيادة السياسية واجهزة الدولة الموكلة بقضايا الادارة الملموسة ان تحل حلا سليما . وينبغي على اتحادات العمال ومنظمات الشبيبة ان تلعب دورها كاملا .

اننا سنتجح في بناء الاشتراكية ، بحزب له تجارب ، واستوعب الماركسية ـ اللينينة ، وله تجربة غنية في تشييد الاقتصاد وكوادر عديدين نسبيا ، وعلاقات انتاج جديدة ، والمثابرة التي تحلى بها شعبنا والمساعدة المخلصة من البلدان الشقيقة .

« ان جيلنا يشعر بفخر لا حد له لاننا هزمنا « دولتين امبرياليتين كبرتين » ـ فرنسا وامريكا ، ولاننا فتحنا الطريق لبناء فيتنام بناء اشتراكيا وجعلها قوية وجميلة ، مستقلة وحرة ، حيث تسود الدمقراطية والسعادة . وبهذا تحقق رغبات العم « هو » وشعبنا كافة » .